

كيف يفسّر علم الاجتماع الإنطلاق العفوي والإنطفا، المفاجئاً لحركة 17 تشرين؟

ثورة ام انتفاضة ام حراك؟ في 17 تشرين الاول 2019، انطلقت حركة عفوية من ساحة الشهداء وسط بيروت ضمت مئات الاف المتظاهرين الذين ملأوا كل الساحات في لبنان. ككرة الثلج تحولت هذه الظاهرة الى تجمعات عابرة للمناطق والانتماوات والطوائف، رفع خلالها اللبنانيون مطالبهم التي دعت الى تغيير النظام واسقاط جميع رموزه

بعد عام على انطلاقتها، تراجعت هذه الظاهرة تراجعا كبيرا ومفاجئا، وباتت التجمعات تحصل في مناطق محددة بين الحين والآخر وتقتصر على عشرات المواطنين، على الرغم من ان الاسباب التي ادت الى نزولهم الى الشارع العام الماضي لا تزال قائمة لا بل زادت حدة

حنفي: تاريخ معظم الثورات مشابه لانتفاضة 17 تشرين

استاذ علم الاجتماع في الجامعة الاميركية في بيروت الدكتور ساري حنفي اطلق على هذه الظاهرة تسمية "الانتفاضات لاسباب نفسية تجنب المواطنين الشعور بأنه كانت هناك ثورة تم اجهاؤها. ان تاريخ الثورات يظهر بوضوح انها مشابهة في غالبيتها لانتفاضة 17 تشرين مع ما شهدته من صعود وهبوط قبل ان تأتي اللحظة وتنتصر فيها. هذا ما حصل مثلا في الثورة الفرنسية التي نسى احيانا انها استغرقت 80 عاما قبل ان تولد الديموقراطية الفرنسية على ما كانت عليه. مهما تعددت التسميات، ان ما حصل يبقى حركة مهمة جدا تمكنت للمرة الاولى من اختراق مختلف المناطق والطوائف التي هي مثابة سرطان يستشري في الجسم اللبناني ويشمل طبقته السياسية ومجتمعه".

■ نرى اليوم ان نبض الثورة قد خفت، فما هي الاسباب السوسولوجية وراء ذلك؟

□ عوامل ثلاثة كانت وراء ذلك:

• جائحة كورونا التي اضعفت همم الكثيرين للنزول الى الشارع والمشاركة في التظاهرات، خاصة وان لبنان من بين اكثر الدول العربية التي تشهد انتشارا للفيروس.

• وجود شعور كبير بالاحباط لدى العديد من اللبنانيين الذين كانوا شديدي الحماسة للثورة وقد علقوا امالا كبيرة على ما يمكن ان ينتج منها، لكنهم في الواقع احبطوا ماليا واجتماعيا وحياتيا ونفسيا. شمل هذا الامر عددا كبيرا من اللبنانيين تجاوز الطبقة الفقيرة ليطاول الطبقة المتوسطة في لبنان، وهي طبقة معروفة باستهلاكها المفرطة، وقد وجدت نفسها فجأة، بعد ان كانت معتادة على نمط حياة معين، مديونة وما دون الصفر اقتصاديا ما خلق اشكالا مجتمعا. لبنان استيقظ في لحظة من اللحظات على الحقيقة ليدرك وجود اشكال حقيقي في نظامه السياسي وفي طبقته المتوسطة ايضا.

• السبب الثالث والاساسي الذي ادى الى ضعف الثورة هو شذمة قياداتها وفشلها في احداث Momentum او قوة دفع.

ما حصل في لبنان كان توازن ضعف وليس توازن قوة، فالدولة ضعيفة جدا والاحزاب ضعيفة لجهة تمثيلها للناس والمعارضة ايضا ضعيفة، وهذا سبب رئيسي لخفوت التعبئة.

■ كيف يمكن لهذه الانتفاضة ان تنطفئ في ظل الازواج الاقتصادية المتردية حاليا؟

وسوء. اسئلة كثيرة طرحت لمعرفة اسباب هذا التراجع، هل هي سياسية ام اجتماعية ام صحية بسبب جائحة كورونا، ام انها بكل بساطة ثورة على الطريقة اللبنانية؟ لا بد من ان انطلاقة هذا التحرك وتوقفه مرتبطان بكل هذه العوامل السوسولوجية. فكيف يقرأ الاختصاصيون هذه الظاهرة وكيف يفسرون ما مرت به من صعود وهبوط؟

□ تمكن الثوار من تحقيق بعض الانتصارات كاستقالة حكومة الرئيس سعد الحريري ومن ثم حكومة الرئيس حسان دياب، واملوا في قيام حكومة مستقلة. لكن من الواضح ان الطبقة السياسية لا تزال تمارس ما يسمى Business as usual اذ على الرغم من كل ما حصل لم تدخل اي تغييرات على اسلوبها واستمرت في اعطاء الثوار وعودا وامالا بالاصلاح، تبين في ما بعد انها كانت مجرد وعود كاذبة ما كان يدفع بالمتظاهرين للعودة الى نقطة الصفر. كذلك علينا ان لا ننقل على الاطلاق من العامل الصحي واثار جائحة كورونا على الموضوع.

■ هل لعب الاعلام دورا سلبيا في اخماد الثورة؟

□ اضطلع الاعلام اللبناني بدور سيئ في هذا الموضوع. فهو بشكل عام اعلام فاسد، تماما كفساد الطبقة السياسية، وهو اعلام حزبي يشكل جزءا من البنية الطائفية في البلد، باستثناء محطة تلفزيونية او اثنتين فقط تملكان اجندة تعددية. الاعلام اللبناني يشكل جزءا لا يتجزأ من الازمة، فهو يبني زبائنية بطريقة استعدادية للآخر من دون اعطاء اي صورة حقيقية عنه، وهو يعكس بذلك جزءا من الاستقطابات الموجودة في لبنان،

اضافة الى وجود اطراف غير معنيين بالثورة او ضدها، لعب اعلامها دورا في التحريض على الثوار الموجودين في الساحات.

■ كيف اثرت مجريات الاحداث في المنطقة على الحراك؟

□ كانت لها تبعات بالتأكيد، لكن قوة ثورة 17 تشرين واهميتها تكمنان في ان دافعها الاساسي كان داخليا وليس خارجيا. فالتعبئة لها كانت عابرة للطوائف، حتى ان بعض القوى السياسية الداخلية شهدت شرخا في صفوفها وانقسمت ما بين داعم ومناهض لها. عندما تكون الحركات مدفوعة من الداخل فان الدور الخارجي يضعف تلقائيا. لقد شكلت مطالبة 45 الف لبناني بعودة الانتداب رسالة قوية جدا فحوها ان الثقة بالطبقة السياسية الفاسدة اصبحت معدومة، فهم بالتأكيد لم يطالبوا بذلك رغبة منهم في عودة فعلية للانتداب الفرنسي. ان بعض الاحداث التي حصلت جاءت كرد فعل قوي على امور معينة، فلا يجب ان نكتفي بالنظر الى الامور من الخارج فقط.

■ هل شعار الثورة "كلن يعني كلن" ساعدها ام اضر بها؟

□ ساعدها واعطاها زخما بحيث ظهرت من خلاله بانها لا تستثني اي طرف من تحركها.

■ كيف اثر نظامنا الطائفي على وهج الانتفاضة؟

□ النظام الطائفي سرطان يهشم النظام والمجتمع في لبنان. انا لا استبعد ان يتحول لبنان بعد سنوات عدة الى بلد غير قادر على

استاذ علم الاجتماع في الجامعة الاميركية الدكتور ساري حنفي.



عظيمة ثم انهارت اقتصاديا بسبب فساد الطبقة الحاكمة.

■ هل كان طابع الثورة اجتماعيا او سياسيا او خليطا بين الاثنين؟

□ اكبر كذبة انت بها الحداثة هي فصل الوضع السياسي عن الاقتصادي والاجتماعي. فهذه العوامل الثلاثة مرتبطة ببعضها البعض ارتباطا وثيقا، وقد راينا ذلك في المروحة الواسعة من الشعارات والمطالب التي رفعها المتظاهرون والتي طاولت مواضيع اجتماعية مرتبطة بالسياسة كاعطاء المرأة اللبنانية المتزوجة من غير لبناني الجنسية لاولادها. هذا الترابط بين السياسي والاجتماعي والاقتصادي يظهر اكثر ما يكون في الحالة اللبنانية.

خليك: الاسباب السوسولوجية لاعادة احياء الانتفاضة لا تزال موجودة

والدينية والايديولوجية، وهذا ما لم يكن مطروحا على جدول اعمال الحراك. في حين ان الانتفاضة هي سيرورة تغيير لقطاعات محددة تشمل اشخاصا في النظام او بعض القوانين لتستجيب مع وتيرة التغيير. ما حصل لم يكن مفاجئا بل جاء

الاستاذ المتقاعد في علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية الدكتور فؤاد خليل يصف ما شهدناه بالانتفاضة معتبرا انها ليست ثورة. ويشير الى ان "الثورة من شأنها ان تحدث تغييرا جذريا يطاول كل مستويات البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية

نتيجة تراكمات بدأت مع التحركات التي شهدناها عام 2015 احتجاجا على تكديس النفايات في الشوارع، وقد جاءت حركة 17 تشرين لتحدث تحولا نوعيا في التحرك من خلال طرحها شعارات جديدة ذات طابع مطلبية وسياسي".

■ لماذا اختفت فجأة؟

□ لتأمين استمراريتها كان يفترض بالانتفاضة ان توفر شرطين اساسيين، اولاً الاستقلال كلياً عن كل من 8 و14 آذار، الا ان بعض القوى والطوائف السلطاوية دخل على الانتفاضة واستغلتها. ثانياً، ان الجمعيات غير الحكومية التي شاركت في الانتفاضة لم تكن ذات توجه توحيدي، وهي عادة تعمل على تفتيت البنية الواحدة للمجتمع، وقد ظهر ذلك جلياً من خلال عجزها عام 2018 عن خوض الانتخابات وفق لائحة موحدة لمرشحيتها. ثالثاً دخول قوى مشاغبة او قوى تخريبية على خط الانتفاضة وقيامها باعتداءات طالوت القوى الامنية والاملاك العامة والخاصة، وهو ما لم يخدم الانتفاضة على الاطلاق. اما السبب الرابع والاساسي، فهو عدم تمكنها من وضع برنامج موحد ومحدد لمطالبها وتحركاتها وتعيين هيئة تنسيقية تتمثل فيها جميع الساحات. ساحات الانتفاضة كانت متعددة، وكل ساحة منها رفعت شعارات متميزة عن الاخرى. كل هذه الاسباب مجتمعة ادت الى تراجع الانتفاضة الى حد انها لم تعد قادرة على حشد بضع مئات من المتظاهرين.

■ هل البيئة السوسولوجية متوافرة لعودة الانتفاضة من جديد؟

□ الاسباب السوسولوجية لاعادة احياء الانتفاضة لا تزال موجودة بقوة، وهي نتاج التحالف الاجتماعي الطبقي الذي حصل بين البورجوازية المصرفية والتجارية والمقاوالاتية وبين الطوائف السياسية التي حكمت البلد وكانت السبب في قيام تفاوت كبير جدا في الثروة بين قلة غنية وفئات واسعة فقيرة. كما ان عمليات النهب المنظم التي مارسها هذا التحالف، او ما بات متعارفاً على تسميته بالفساد، ادت الى تراكم الدين العام ووصوله الى حدود 90 مليار دولار. وقد كانت لذلك تداعيات سوسولوجية سلبية كثيرة منها البطالة وانعدام فرص العمل وهجرة الشباب والتفاوت في توزيع الثروة، فضلا عن التراجع في الخدمات العامة



الاستاذ المتقاعد في علم الاجتماع في الجامعة اللبنانية الدكتور فؤاد خليل.

الانتفاضة سيرورة تغيير لقطاعات محددة

لاحق، ووضع لائحة مطالب موحدة لا ينقسم حولها المنتفضون. مثلاً، بعد ان اتفق المتظاهرون على المطالبة بانتخابات نيابية مبكرة، اختلفوا على القانون الانتخابي الذي يجب ان تجرى الانتخابات على اساسه. غياب هذين العاملين شكل العطب البنيوي الاساسي للتحرك، اما الاسباب الاجتماعية لاعادة اطلاق الحراك فلا تزال موجودة.

■ هل خدام شعار "كلن يعني كلن" الثورة؟
□ كلا لم يخدمها لانها اعتمدت التسطيح في المساواة. في تقديري لا تقع المسؤولية على الجميع بالتساوي.

■ هل يمكن اعتبار التعب الذي لحق باللبنانيين ومواجهة القوى الامنية لهم من اسباب تراجع الانتفاضة؟

□ القوى الامنية تعاطت مع المتظاهرين بطريقة حضارية جدا وهي لم تواجههم الا عندما كانوا يتعرضون لها. الموضوع ليس موضوع تعب بل هو نتاج العطب البنيوي الذي تحدثنا عنه، بالاضافة الى استغلال بعض القوى للانتفاضة ومحاولة حرقها عن مسارها الحقيقي.

كالتعليم والصحة والكهرباء والهاتف والمياه والبيئة، يضاف اليها الارتفاع الجنوني لاسعار السلع ولسعر صرف الدولار وتحكم المصارف والصرافين غير الشرعيين بسعره.

■ معظم هذه المشاكل الاقتصادية كانت موجودة في السابق، فما الذي يجب ان يتغير ليتمكن الحراك من تحقيق مطالبه هذه المرة؟

□ يجب على الحراك ان يعتمد اسساً جديدة، والا سوف تتحول الانطلاقة الجديدة الى انطلاقة ظرفية ومقطعة تكرر نفسها، بحيث تعيش روتينا قاتلاً في تكرار الشعارات التي لا تكفي وحدها لاحداث تغيير قطاعي شامل في البلد. كما يجب ان تتواكب عملية التجديد بقيام هيئة تنسيق تتولى عملية التفاوض مع السلطة في وقت



تجديد الباسبور البيومترى تجديد الإقامة للعمّال الأجانب

تجديد الإقامة المؤقتة للرعايا السوريين لا تشمل إقامات المجاملة

شراكة لخدمة المواطن

